العنوان:	الأحرف السبعة وعلاقتها باللهجات والقراءات القرآنية
المصدر:	مجلة كلية أصول الدين
الناشر:	جامعة أم درمان الإسلامية - كلية أصول الدين
المؤلف الرئيسي:	سليمان، حيدر محمد
المجلد/العدد:	ع 8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	محرم
الصفحات:	129 - 181
رقم MD:	496932
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، الأحرف السبعة، اللهجات العربية، القراءات
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/496932

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأحرف السبعة وعلاقتها باللهجات والقراءات القرآنية

دكتور / حيدر محمد سليمان
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين
جامعة أم درمان الإسلامية

مقدمـــــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المرسلين الحبيب مصطفى وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمــــــا بعد:

فإن الذين يعزون نشوء القراءات القرآنية ومصادرها إلى تجريد المصحف العثماني من الشكل والنقط والإعجام ــ فبدا بذلك احتمال النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة ــ فنشأت نتيجة لذلك القراءات المتعددة للوصول إلى حقيقة التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبة؛ وهذه الدعوى شنشنة معروفة ولكنة قديمة قال بها عدد من المستشرقين و أشباههم من الذين لفوا لفهم وداروا في مدارهم، وكانوا يرون بترويجهم لهذا الرأي أن تكون القراءات القرآنية اجتهادية فيما احتمل موافقته للصحة من جهة الرسم القرآني أو العربية.

إلا إننا نجد أن منشأ القراءات القرآنية قد كان مرده إلى الرواية في إيصال النص القرآني مشافهة عن طريق الإسناد ، فيصحح الرسم القرآني في ضوء الإسناد الروائي، فتم عبر ذلك التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، وكما نزلت عليه وحيا من الله تعالى ، بغض النظر

عن كتابة المصحف الشريف، وعلى هذا الضوء نشأت القراءات القرآنية عبر الطرق المؤدية بأسانيدها المختلفة حتى تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الأمر كذلك، وتحققت هذه الطرق بالأسانيد الصحيحة الثابتة ، فالقراءات متواترة وليست اجتهادية.وقد ادعى المستشرق المجري جولد تسهير[1] أن نشأة القراءات كانت بسبب تجرد الخط العربي من علامات الحركات ، وخلوه من نقط الإعجام [2]. وتابعه على هذا المستشرق الألماني كارل بروكلمان[3] فقال:

[1] / قولد تسهير: ولد هذا المستشرق سنة ١٨٥٠م وقد كان أشد خطرا من غيره من المستشرقين ، تعلم بمدارس اللغات الشرقية ببرلين ، ثم رحل إلى سوريا سنة١٨٧٣م ، وتتلمذ على الشيخ طاهر الجزائري وتضلع بالعربية على شيوخ الأزهر ، له عدة مؤلفات وكان شديد العداء على الإسلام .

[2] / جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي: ٨ وما بعدها.

[3] / كارل بوكلمان: هو مستشرق ألماني له مؤلفات متعددة عن العالم الإسلامي وآداب اللغة العربية منها(تاريخ الشعوب الإسلامية وتاريخ الأدب العربي ولد ١٧٨٧ م وتوفي ١٩٥٦م.

والمطلع على كتبه يجدها ملأت بالأكاذيب والترهات ، وما تكتبوه في المجلات الصادرة عنهم ودوائر المعارف ، يجد ذلك واضحاً، وبروكلمان مثل واحد من أخف الأمثلة ويعتبر حجة عندهم بل عند بعض الباحثين المسلمين، ويعتبرونه من المعتدلين وقد يبالغ البعض فيعتبره من المنصفين) وفي كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية . و إذا قرأت في هذا الكتاب رأيت العجب العجاب ورأيت ... التشويه، بل رأيت الجهل الثقيل و الكذب الصريح. يقول في (ص٣١) : (الكعبة بناء ذو أربع زوايا يحتضن في إحداها الحجر الأسود ولعله أقدم وثن عُبد في تلك الديار، وكانت الكعبة تضم تمثال الإله القمري هُبَل، بالإضافة إلى الآلهة الثلاثة المعبودة (اللات والعُزى ومناة)) .وقوله هذا إما جهل حقيقي وإما كذب وتزوير ولا أظنه يجهل موقع العزى واللات ومناة وهو يبحث في كتب الجغرافيا والبلدان الإسلامية التي تحدد مواقع تلك الأصنام. وفي (ص٨٥) وهو يتحدث عن مسيلمة وسجاح يقول -: (ففيما كان محمد صلى الله عليه وسلم لايزال على قيد الحياة ظهر في تلك البلاد رجل اسمه (مسلمة) وقد دعاه المسلمون مسيلمة من باب التصغير الذي يقصد به التحقير، وادعى النبوة) . وهذه فرية

(حقا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمـــال، مجـــالا

ما سبقه إليها أحد ولا ضير أن ينتصر للكذاب المتنبئ؛ لأن الكفر ملة واحدة، ومعلوم عناية العرب بعلم الأنساب وبالأسماء وكل ما لدينا من كتب النسب والتراجم لا تذكره إلا باسم مسيلمة فمن أين جاء هذا الأفاك بهذا الاسم وقد علمنا أن هذا هو اسمه .جاء خبره واسمه (في صحيح البخاري [/ ٣ ٢٠٣ رقم الحديث : ٣٦٢١) من قول – الذي لا ينطق عن الهوى – صلى الله عليه وسلم– – فيما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (بينما أنا نائم رأيت في يديَّ سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي ... إليَّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأوّلتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة) . كما أن مسيلمة قد كتب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– كتاباً يقول فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله (انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ٨/ ٨٩.) و انظر: البداية والنهاية، ٥/٥١، وقال: رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه وهذا إسناد جيد حسن] فهو أعلم باسمه من هذا المستشرق، ثم إن الاسم – سواء كان مكبراً أو مصغراً – لا يحكي الحقيقة ولا يحكم على الشخص من خلاله، وإنما الحقائق والأحكام من المواقف والإيمان أو الكفر. والحقيقة أن ما كتبه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وتشريعات الإسلام وتاريخ الخلفاء الراشدين يمثل قمة السوء والحقد، فقد رمى النبي – صلى الله عليه وسلم– بكل نقيصة، وقال عن الوحي إنه حالة من الصرع والهلوسة، وقال عن وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم– إنه بسبب الحياة الزوجية الواسعة. وكل الشعائر الإسلامية مقتبسة – في نظره – من اليهود أو النصارى أو الهنود أو الفرس، ويدافع عن اليهود وينتصر لهم ويرى أن النبي – صلى الله عليه وسلم– ظلمهم، بل ينكر أصل النبوة فيقول: (نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة) ! [تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمان، ٣٦] . ويقول في نفس الصفحة: (أعلن ما (ظن) أنه قد سمعه كوحي من عند الله) ، ويقول عن عائشة – رضي الله عنها –: (أرملة النبي الشابة المحبة للفتنة) [المصدر السابق ١١١] ، ويتبنى آراء الشيعة في القرآن وأنه محرف [المصدر السابق ١١٢] ... إلى غير ذلك من الترهات المبنية على الكذب والافتراء.

لبعض الاختلاف في القراءة، لا سيما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مشتملة على رسوم الحركات ، فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافها) [٤]. وقد أكد بروكلمان هذا المعنى فيما بعد وقال: (جمع سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه) المسلمين على نص قرآني موحد، وهذا النص الذي لم يكن كاملا في شكله ونقطه، كان سببا في إيجاد اختلافات كثيرة ولذلك ظهرت عدة مدارس في بعض مدن الدولة الإسلامية ، وبخاصة في مكة والمدينة والبصرة والكوفة، استمرت كل منها في رواية طريقة للقراءة والنطق، معتمدة في ذلك على أحد الشيوخ... ولقد تبين على مر الزمن أن الدقة في الرواية الشفوية، التي كانت مرعية في بادىء الأمر، لا يمكن إتباعها دائما بسبب عدد من الأشياء الصغيرة التي وجب المحافظة عليها)[٥].

ومع أن هذا الرأي قد لقي نقدا وتجريحا من قبل بعض الدارسين وأصحاب الغيرة من المتخصصين العرب [٦]. إلا أنه لقي في الوقت نفسه تأييدا من قبل آخرين أمثال الدكتور جواد علي والدكتور صلاح الدين المنجد [٧].

ولما كان التعدد في القراءة شائعا، كان من أسباب التدوين للمصحف العثماني ، قطع ذلك الاختلاف، فصار ذلك الجمع سبيلا إلى التوحيد، وليس توحيد القراءة في المصحف هو الذي كفله الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن عمله إعداما للنقل الصحيح المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

٤ / بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١ | ١٤٠ .

٥ / المصدر نفسه: ص، ١٤ ١ وما بعدها .

٦ / عبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات ،وانظر : عبد الصبور شاهين ، تأريخ القرآن : ١٣٤ .

٧ / انظر : جواد علي ، لهجة القرآن الكريم ، مجلة المجمع العلمي العراقي : ١٩٥٥ + صلاح الدين المنجد ، دراسات في تأريخ الخط العربي : ص ٤٢ .

المتعدد وفق الأحرف السبعة، وبهذا لا يعدم أن ينشأ بعد هذا التوحيد بعض الخلاف الذي جاء في أصول النقل الشفاهي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فنشأت لذلك عنه القراءات.

و ما يستدل به حول تعدد وجوه الكتابة المصحفية من نشوء بعض القراءات يكاد ينحصر بالاستدلال بحديث: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه) [٨] ليقال بأن الاختلاف روائيا وليس كتابيا، كما ردد ذلك بعض المستشرقين ، ومهما ما قيل من تعدد الآراء حول الأحرف السبعة ، و أن المسلمين إلى اليوم لم يصلوا إلى مؤدى هذه الرواية ، إلا أن الأحرف السبعة كان مقطوعا بدلالتها بصورة لا تدع مجالا للشك بين صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدرجة لم يصلنا أي أثر يدل على اشتباههم فيها أو سؤالهم عنها؛ وإلا ما كنا عدمنا ذلك الأثر على كثرة اهتمام الصحابة بأي نص عن القرآن الكريم، وإن كان لا زال الخلاف قائما في معنى هذا الحديث وفهم كنهه، على أنه معارض ــ كما سترى ــ بحديث إنزال القرآن على حرف واحد. على أنه لا دلالة في هذه الحروف السبعة على القراءات السبعة إطلاقا، وذلك لأن الأحرف السبعة هي جزء لا يتجزأ عن القرآن الكريم بل هي ذات كلمات القرآن وآيه، وإذا كان القرآن قد نزل على سبعة أحرف. فالإنزال ــ حينئذ ــ توقيفي ــ ، لأنه ذكر ، والذكر قرآن ، والقرآن مصان لقوله تعالى: (إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون) [٩]. وإذا كان الأمر قد التبس على المستشرقين في فهم الأحرف السبعة ومعناها ، وحاولوا تفسير مفهومها على هواهم ؛ فلا نلومهم على سوء مقاصدهم وخبث نواياهم و ما يدفعهم من الهوى والمعاداة للشريعة

---

[٨] / انظر : صحيح الإمام البخاري ، الجامع الصحيح ٦ / ٢٢٧ . وكذلك ، الإمام الطبري ، جامع البيان : ١ / ١١ ــ ٢٠ .

[٩] / الحجر : ٩ .

الإسلامية ولكننا لا نعذر أنفسنا في أن تظل كتاباتهم باقية دون الرد عليها، وإن كان سبقنا إلى ذلك عدد من أفاضل علماء الأمة وأهل الغيرة على الإسلام والقرآن الكريم.

أسباب اختيار البحث:

١/ ارتباط هذا الموضوع وتعلقه بالقرآن الكريم مصدر الهداية والتوجيه ، ومن شرف الموضوع شرف الباحث ، وأي شرف أعظم من شرف البحث في علوم القرآن الكريم.

٢/ كثرة الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الموضوع تبين أهميته وعظيم خطره ، مما يقوي العزم على دراسته.

٣/ البحث يتناول في أحد مباحثه موضوع الأحرف السبعة ، وهو من المواضيع الجديرة بالبحث ؛ لأن الكتابات وقفت عليها لم تشف غليلي في تحديد مفهوم الأحرف السبعة ، فبعضها لم يعالج الموضوع وفق الأدلة بصورة دقيقة، وبعضها استرسلت في تتبع الخلاف ؛ حتى أصبح يصعب على الإنسان التوصل منها إلى نتيجة.

٤/ الكتابات القديمة التي واجه أصحابها مثل هذه الدراسات متفرقة، ومتناثرة، صعبة الألفاظ ، بعيدة عن منهج البحث الحديث الذي يقوم على التبسيط ، والترتيب ، والتقريب للمعاني بألفاظ موجزة ، وهي كذلك استرسلت في ذكر الأقوال المختلفة.

٥/ تجلية حقائق هذا الموضوع بالإجابة على الأسئلة الحائرة التي يبحث القارئ عن إجابات لها، من ذلك معنى الأحرف السبعة ؟، وهل هي موجودة أم اندثرت ؟، وما الحكمة من نزول القرآن على سبعة ؟ وما علاقة اللهجات بنشوء القراءات ؟.وما هي اللهجات العربية ؟ وما الفرق بين اللهجة واللغة؟

٦/ تحقيق رغبة ذاتية في أن أبحث في هذا الموضوع ، و أعرض ما توصلت إليه من نتائج ؛ على طلبة العلم.

٧/ الرد على بعض المواضيع المتداولة في الشبكة العنكبوتية عن هذا الموضوع ، حتى لا يلتبس الأمر على طلبة العلم فيما يكتب حول هذا الموضوع.

٨/ كشف خطأ المستشرقين وبيان عدم استخدام كتاباتهم كمصادر للمواضيع التي تتعلق بالقرآن الكريم ؛ وذلك لأسباب تتعلق باللغة والفهم فضلا عن سوء نياتهم.

مشكلة البحث:

إن موضوع الأحرف السبعة في القرآن الكريم والقراءات وعلاقتها باللهجات، من الموضوعات المهمة لتعلقها بالقرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه. وهو في نفس الوقت من المواضيع المشكلة بما يثار حولها من آراء متعددة !! وعلى تعدد هذه الآراء وتشعبها لم يصل الرأي حولها لدرجة القطع بحدودها وتحديد ماهيتها ــ أقصد الأحرف السبعة ــ ، و هي في نفس الوقت من المواضيع التي يمكن البحث فيها ؛ لكثرة ما ورد فيها من الأحاديث الصحيحة التي يمكن التعامل معها بوجوه.

أسئلة البحث:

١. ما هي أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف ؟ وما هو مفهوم الأحرف السبعة ؟ و ما هي حدود العلاقة بين الأحرف السبعة و القراءات القرآنية ؟.

٢. ما معنى اللغة وما معنى اللهجات العربية وأثرها في تكوين القراءات ؟

٣. وماهي اللهجات ؟ وماهي القراءات القرآنية ؟ وعلاقتها بالأحرف السبعة وهل هذه الأحرف موجودة اليوم في المصاحف كما جمعها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟

٤. ما الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف ؟؟.

أهداف البحث:

من خلال الإجابة عن أسئلة البحث يمكن تحقيق الأهداف التالية:

١. الوقوف على الأدلة التي توضِّح نزول القرآن على سبعة أحرف ، وأبرز ما فيها من فوائد تساعد على فهم المراد بالأحرف السبعة.

٢.الوقوف على أشهر الأقوال التي ذكرها العلماء في معنى الأحرف السبعة ، والراجح منها. ومعرفة معنى اللهجات ووجوهها.

٣. معرفة أثر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ووجوه الأداء فيها.

٤. التعرف على الكيفية التي نشأت بها القراءات القرآنية.

٥. الإسهام في تحقيق نتائج تجلي الأمر في الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات واللهجات ؛ وبيان خطأ المستشرقين وسوء مقاصدهم.

حدود البحث:

تقتصر هذه الدراسة على تحديد معنى الأحرف السبعة، وأثرها في أداء القراءات وما يتعلق بذلك من اتصال باللهجات العربية. ومعرفة مصدر القراءات [١٠]، التي يمكن أن ترجع إلى مصدر واحد لا ثاني له وهو الوحي، فقد كان

---

[١٠] / كثيرا ما يستنكف بعض المعاصرين من المهتمين بالكتابة في علوم القرآن من التعبير عن مصدر القراءات بقولهم (نشأة القراءات) وهو تعبير يرونه غير سديد ؛ لأنهم يعتبرونه موهما لما يحتمله في أن القراءات نشأت بتأثير الرسم أواللهجات ، وأنها لم تكن ثم كانت ، بينما التعبير ب(مصدر القراءات) يدل على البحث عن مصدرها ، هل هو الوحي كما ثبت بالأدلة ، أم التأثر باللهجات أو الرسم كما يزعم المستشرقون . وهذا هو موضوع بحثنا (وقد ذهب الباحث ــ د . حيدر محمد سليمان ــ إلى استعمال كلمة نشوء القراءات مع اثبات أن القراءات هي منشأها الوحي الذي نقله النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه لصحابته ونقلوه لنا نقلا أمينا متواترا كما نقرأه الآن بمثل ما يقرأ ساعة إنزاله قبل ألف وأربعمائة سنة ونيف ... اقرا البحث .) .

جبريل عليه السلام يعلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم بقراءاته، ثم يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه القرآن الكريم موزعا عليهم القراءات كما تلقاها من جبريل عليه السلام ، ولذا فليس لأحد من البشر مدخل في وجود القراءات ، وإنما مرجعها إلى الوحي، وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة بلغت حد التواتر تدل على أن مصدر القراءات هو الوحي.

منهج البحث:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الموضوعي والمنهج الاستنباطي، وكانت أداته تحليل المحتوى لما جاء في السنة من الأحاديث ذات الصلة بالموضوع، والكتابات التي سطَّرها علماء التفسير ، ومن تناولوا القراءات، وبعض الدراسات الحديثة التي اعتنت بهذا الموضوع بغية الوصول إلى أهداف البحث.

المبحث الأول

نزول القرآن على سبعة أحرف:

نزول القرآن على سبعة أحرف من الموضوعات الشائكة ، وقد روى نزول القرآن على سبعة أحرف نحو ثلاثين صحابيًّا، حتى ذهب أبو عبيد والحاكم والسيوطي إلى أنه من المتواتر[١١].

وقد نازع بعض العلماء في تواتر هذا الحديث رغم حصول عدد التواتر في طبقة الصحابة، بزعم أن هذا العدد لم يتوفر في الطبقات التالية، وهذا خلاف العادة، إذ إن العادة أن الرواة في الطبقات التالية يكونون أكثر، ويكفي نص من نص من العلماء على تواتره، إذ لا شكّ أنَّهم تحققوا من حصول عدد التواتر في كل طبقة.

فلا بد لنا من ترجيح كفة أحد الأقوال في المراد بالأحرف السبعة لنبني عليه الحكم في هذه المسألة الجليلة الخطر.

ولقد أنزل الله القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم بلسان عربيٍّ مبين، قال سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[١٢] وقال جل من قائل: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[١٣].

وكان ابتداء نزول القرآن على لسان قريش، إذ كانوا قوم النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ)[١٤]، وكانوا

---

[١١] / انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص ١٧٣-١٧٤ ح ١٩٧، والإتقان في علوم القرآن (١/١٣١).

[١٢] / الآية ٢ من سورة يوسف عليه السلام .

[١٣] / الآية ١٩٥ من سورة الشعراء.

[١٤] /(٣) من الآية ٤ من سورة إبراهيم عليه السلام .

كذلك أوسط العرب دارًا ولسانًا، فقد كانت تأتيهم وفود العرب في مواسم الحج، وكانت تقام الأسواق للفصاحة والبيان حول الحرم [١٥]، وكانت العرب تتحاكم إلى قريش لفصاحتها وحسن لغاتِها ورقة ألسنتها، وكانوا إذا أتتهم الوفود تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتِهم وأصفى كلامهم، فصاروا بذلك أفصح العرب[١٦].

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُثْمَانَ قَالَ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ[١٧].

قال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان رضي الله عنه: إنه أنزل بلسان هذا الحي من قريش، أي: معظمه وأكثره نزل بلغتها[١٨].

وقال أبو شامة: يحتمل أن يكون قوله: نزل بلسان قريش، أي: ابتداء نزوله، ثم أبيح أن يقرأ بلغة غيرهم[١٩]. ولَمَّا كانت الأمة التي أرسل إليها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أمة أمِّيَّة، وفيهم من لا يقدر على غير لسان قومه، سأل النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم جبريل، فأخبره أن القرآن نزل على سبعة أحرف، فكان ذلك تيسيرًا على المكلفين، ليسهل عليهم تلاوة القرآن، وحفظه، والعمل به.

فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جِبْرِيلَ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلامُ

---

[١٥] / أي في أماكن قريبة من مكة مثل مَجَنَّة وذي الْمَجاز وعُكاظ، انظر لسان العرب (جنن) (٧٠٦/١)، و(جوز) (٧٢٦/١)، و(عكظ) (٣٠٥٨/٤).

[١٦] / انظر الصاحبي في فقة اللغة لابن فارس ص ٥٥.

[١٧] / رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريشٍ (٦٢١/٦)ح ٣٥٠٦.

[١٨] / نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٣٨٥.

[١٩] / فتح الباري (٦٢٥/٨).

وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[٢٠].

وقد جاء أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم سأل الله التخفيف عن أمته في أوجه قراءة القرآن، فخفف الله عنهم بأمره أن يقرئ أمته على سبعة أحرف.

فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. قَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا[٢١].

وقد أقرأ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه بتلك الأحرف المنزلة عليه، فكانوا يقرؤون بها، حتى أنكر بعضهم على بعض وجوهًا من القراءة، فأخبرهم النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ،

---

[٢٠] / رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (١٩٤/٥-١٩٥) ح ٢٩٤٤، وأحمد في مسنده، مسند الأنصار (١٥٧/٦) ح ٢٠٦٩٩.

[٢١] / ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (١٠١/٦-١٠٣) ح ٨٢٠، والنسائي في سننه، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، واللفظ له (١٥٢/٢-١٥٣) ح ٩٣٩، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٧٦/٢) ح ١٤٧٨.

فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: أَرْسِلْهُ. اقْرَأْ يَا هِشَامُ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ[٢٢].

وبالجملة، فالحديث ثابت ثبوتًا لا شكَّ فيه، وهو دالٌّ على رحمة الله بهذه الأمة، وتيسيره تعالى لَها في تلاوة هذا القرآن، كما قال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ)[٢٣]. وقد سلم السلف وعلى رأسهم القــرّاء أن الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن هي لهجات العرب المأذون بقراءة القرآن بها للرعيل الأول الذي لا يستطيع العدول عن لسانه الذي تربى عليه. قال ابن الجزري: وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم [٢٤] .

---

[٢٢] / رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٨/٦٣٨-٦٣٩) ح ٤٩٩٢، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (٦/٩٨-١٠٠) ح ٨١٨، والنسائي في سننه، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، واللفظ له (٢/١٥٠-١٥١) ح ٩٣٧، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٢/٧٥-٧٦) ح ١٤٧٥.

[٢٣] / سورة القمر الآية : ١٧.

[٢٤] / ابن الجذري ، النشر في القراءات العشر ، ١ / ٨ .

المبحث الثاني

اختلاف لهجات قبائل العرب:

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة ، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، و بيئة اللهجة جزء من بيئات أوسع واشمل تضم عدة لهجات ، و لكل منها خصائصها، و لكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية.

و تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة و اللهجة هي العلاقة بين العام و الخاص، فاللغة تشتمل على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، و جميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

و يعبر القدماء عما نسميه الآن باللهجة بكلمة " اللغة " كثيراً ، فيشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم و لغة طيئ و لغة هذيل ، و هم يريدون بذلك ما نعنيه نحن الآن بكلمة " اللهجة " و قد يعبرون بكلمة " اللسان " و هو التعبير القرآني: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم: ٤).

و الفرق بين لهجة و أخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان، فيروي لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون في " فزت " " فزد ، كما يروي أن " الأجلح " و هو الأصلع ، ينطق بها " الأجله " عند بني سعد.

و تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات و معانيها [٢٥].

و اللغة العربية هي لغة جزيرة العرب .. و لكن القبائل العربية المتعددة كان لكل قبيلة منها منازلها ، و لها كيانها المستقل الذي يعزلها عن غيرها بما لها من عادات و تقاليد تنمو و تتطور ، فأدي هذا إلى نشأة اللهجات العربية التي تتميز كل منها بصفات خاصة.

و قد ذكر الدكتور شوقي ضيف كثيراً من اللهجات ، فمن ذلك الكشكشة و الكسكسة ، و هما تخصان ضمير المخاطبة ، إذ كان بعض تميم و أسد يلحقون بكاف المخاطبة شيئاً في الوقف ، و في الوصل أحياناً ، فيقولون: رأيتكش و عليكش و بكش ، و كانت بعض قبائل ربيعة تلحق السين بدل الشين ، فتقول: رأيتكس و عليكس و بكس ، و كان منهم من يحذف الكاف و يضع مكانها الشين أو السين.

ومن ذلك العنعنة، و هي في تميم و بعض قيس و أسد ، إذ يجعلون الهمزة عيناً في بعض الكلمات، فيلفظون " استعدي " بدلاً من "استأدي" و يلفظون "أعدي " بدلاً من " آدى" [٢٦]، و كان هناك من يقول: "دأني" عوضاً عن " دعني"، و من يلفظ " لعل ": " لأن " بإبدال اللام أيضاً نوناً ، و قالوا بدلا من " أن و إن ": " عَن و عِن ".

و تقرب من العنعنة الفحفحة ، و كانت في هذيل ، إذ تبدل الحاء عيناً، فيقولون في " حتى ": " عتى " ، وهذه اللهجات جميعاً كانت تشيع في بعض القبائل الشمالية المضرية ، و مثلها التضجع ، و هو الإمالة ، إذ كانت تميم و

---

[٢٥] / انظر كتاب " في اللهجات العربية " للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة ص ١٦ ـ ١٨ .

[٢٦] / آدى فلان إيداء : قوي ، و آدى للأمر : أخذ أداته و استعد له ، و آدى فلاناً على كذا : قواه عليه و أعانه (المعجم الوسيط ١/ ١٠) .

قيس و أسد تميل إلى إمالة الألف ، و كان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يميلون...

قد نسب اللغويون إلى قبائل مضرية و أخرى قحطانية ما سموه الاستنطاء، إذ كانت قبائل هذيل و قيس و الأزد و الأنصار في يثرب تبدل العين نوناً في مثل " أعطى " فتقول: " أنطى "...

هناك لهجات نسبها اللغويون إلى القحطانيين ، من ذلك التلتلة في قضاعة و بهراء، إذ يكسرون الفعل المضارع فيقولون: " تِعلمون و تِكتبون و تِنجحون " وغيرها.

و من ذلك العجعجة في قضاعة ، إذ يجعلون الياء المشددة جيماً ، فيقولون: " تميج " في " تميمي ". و نسب الرواة إلى قبيلة كلب اليمنية ما سموه الوهم ، و هو كسر الهاء في ضمير الغائبين و إن لم يكن قبلها ياء و لا كسرة فيقولون: " منهِم و عنهِم و بينهِم ".

و اشتهرت حمير و أهل اليمن و بعض عشائر طيئ بالطمطمانية ، و هي إبدال لام التعريف ميماً ، فيقولون في " السهم و البر و الصيام ": " إمسهم وامبر و امصيام " فيعرفون بالألف و الميم.

وينسب إلى بعض الحميريين انهم كانوا يجعلون السين تاء في بعض الكلمات فيقولون: بـ " النات " بدل " الناس ".

وكانت هناك فروق بين التميميين و الحجازيين ، فكان التميميون يدغمون الحرف الثاني في الثالث في أمر مثل " رد " ، بينما كان يفك الحجازيون الإدغام فيقولون: " اردد " ، و مما اشتهر بينهما من فروق إهمال " ما " عند التميميين في نحو: ما زيد قائم ، و إعمالها عند الحجازيين فيقولون: ما زيد قائماً ، ومن ذلك أيضا أن الحجازيين كانوا يجرون " هلم " مجرى أسماء الأفعال مثل " صه " فيلزمونها طريقا واحدا في مخاطبة المفرد والمفردة والاثنين والاثنتين

والجماعتين ، فيقولون: هلم يا رجل ، وهلم يا امرأة ، وهلم يا رجلان ، وهلم يا امرأتان ، وهلم يا رجال ، وهلم يا نساء ، أما التميميون فكانوا يجرونها مجرى الأفعال ، فيقولون: هلم وهلمي وهلما وهلموا وهلممن يا نسوة ، وبلغة الحجاز نزل القرآن الكريم في قوله تعالى:(وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) [٢٧].

وتلك اللهجات صار منها ما هو مقبول وحجة ، ومنها ما تدنى عن هذا المستوى وهجره الذوق العربي.

قال ابن جني [٢٨]: " باب اختلاف اللغات وكلها حجة " اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ، ولا تحظر عليهم ، ألا ترى لغة التميميين في ترك إعمال " ما " يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في أعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ، ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما ، فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسيين أقبل لها ، وأشد أنسا بها ، فأما رد إحداهماا بالأخرى فلا ، أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم:" نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف "[٢٩].

هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالمتراسلتين. فأما أن تقل إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدا فإنك تأخذ بأوسعهما

---

[٢٧] / انظر كتاب " العصر الجاهلي " ص١٢١ ــ ١٣١ ــ ط . دار المعارف بمصر ــ والآية من سورة الأحزاب : ١٨ .

[٢٨] / عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو ، من كتبه المحتسب في شواذ القراءات " ، و " الخصائص في اللغة " ــ توفي سنة ٣٩٢ هــ (وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦) .

[٢٩] / انظر : شرح مشكل الآثار ، ٨ / ١٢٦ رقم الحديث : ٣١١٨ .

رواية ، وأقواهما قياسا... حدثنا أبوبكر محمد بن الحسن [٣٠] ، عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب قال:

ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم [٣١]، وكشكشة ربيعة [٣٢]، وكسكسة هوازن [٣٣]، وتضجع قيس [٣٤]، وعجز فيه ضبه [٣٥] ، وتلتلة بهراء، [٣٦]، [٣٧].

و معظم الاختلاف ـ كما ترى ـ كان يرجع إلى الاختلاف في إبدال الحروف ، أو في الحركات ، أو في الإمالة و التفخيم ، أو في الإدغام و الفك ، أو في الإعراب ، و هذا النمط في الاختلاف ليس فيه تباين كلي لما فية من التقارب [٣٨].

و يقل الاختلاف في اللفظ مع اتفاق المعنى: " كالعِهن ، و الصرف " حيث توجد لغتان أو أكثر من اللغات الفصيحة.

---

[٣٠] /أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم ، وهو من القراء وكان راوية ثعلب، توفي سنة ٣٥٥ هـ، ويروي ابن جنى عنه أخبار ثعلب وعلمه (بغية الوعاة ص ٣٦) .

[٣١] / عنعنة تميم ، ينطقون الهمزة عينا فيقولون في " أن " : " عن " كما سبق .

[٣٢] / كششكشة ربيعة : يجعلون الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث ، فيقولون : " عليك ": " عليش " أو يزيدون بعد الكاف شينا فيقولون : " عليكش " في الوقف .

[٣٣] / كسكسة هوازن ، يزيدون بعد كاف ضمير المؤنث سينا ، فيقولون في " منك وعنك ": (منكس وعنكس) في الوقف .

[٣٤] / الإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض (لسان العرب مادة : عجرف).

[٣٥] / قال ابن سيدة : وعجز في ضبه : أراها تقعرهم في الكلام (لسان العرب مادة : عجرف).

[٣٦] / تلته بهراء : يقولون : تعملون و تفعلون و تصنعون ـ بكسر أوائل الحروف .

[٣٧] / الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ٢/ ١٠ ـ ١١ ، ط ، دار الهدي ببيروت .

[٣٨] / انظر : الأحرف السبعة في القرآن الكريم ، مناع القطان ، ص : ٥٩ .

و بمرور الزمن و توافر عوامل الوحدة صارت مكة و ما حولها ملتقى للقبائل العربية ، إذ يفدون إليها للحج الذي كان معروفاً بالجاهلية قبل الإسلام ، كما يفدون إليها للتجارة ، و يعقدون المناظرات و المساجلات في الشعر و الخطابة بأسواقهم الذي اشتهر منها: " عكاظ " و هو السوق العامة عند العرب ، و كانت تعقد حوله مكة في أوائل شهر ذي القعدة ، و كانت سوق " مجنة " تعقد بعدها في أواخر هذا الشهر ، ثم تعقد سوق " ذو المجاز " في أوائل شهر ذي الحجة.

و كان الشعراء و الخلطاء يحرصون على أن يتحدثوا بلغة خالية من فوارق الأصوات اللغوية، و ينتقون الألفاظ، و يختارون العبارات ، فأدى هذا لوحدة لغوية راقية، حيث انسابت جداول الفصاحة العربية و انتهى مصبها في لغة قريش، فصارت بذلك أفصح العرب، و بلسانها كان نزول القرآن ابتداءً على الرسول العربي القرشي، و توجه الخطاب إلى قومه القرشيين أول الأمر: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)(الشعراء: ٢١٤) ، حتى يكون هذا أدعى لقوة البيان في البلاغ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم: ٤) ، (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(يوسف: ٢).

المبحث الثالث

المقرئون والقراء في الأمصار للمصاحف العثمانية:

فممن كان بالمدينة من القراء:

ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ، وابن جندب ، وزيد بن أسلم.

وبمكة: عبيد بن عمير ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي مليكة.

وبالكوفة: علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثيم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ، وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ، والشعبي.

وبالبصرة: عامر بن عبد قيس، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، ومعاذ ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان رضي الله عنه في القراءة ، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء ".

قلت: وقد جمع ابن الجزري بين التابعين وتابعيهم ويلاحظ أن أيا من القراء السبعة والعشرة لم يكن ضمن الآخذين عن الصحابة مباشرة وأخرج ابن الجزري من تفصيله المذكور أربعة من القراء هم ابن كثير وعاصم وابن عامر الشامي وأبو جعفر المعدودون ضمن طبقات التابعين المتأخرة.

اختيارات القراء:

ومن أمثلة اختيارات المصنفين التي تدعو إلى التعجب ما اختاره الداني (ت ٤٤٤هـ رحمه الله) في كتابه التيسير للأزرق عن ورش عن نافع ؛ إذ ضمّنه هذه الطريق من قراءته على شيخه خلف ابن خاقان على أحمد ابن أسامة على النحاس على الأزرق لكنه في كتابه التيسير قد اختار للأزرق في بعض حروف الخلاف غير هذا الأداء ؛ كاختياره له الفتح في ما لا راء فيه من سورتي النازعات و الشمس فيما كان من الفواصل على لفظ "ها". من ذوات الياء وتلك قراءة الداني على شيخه أبي الحسن طاهر بن غلبون واختيار الداني المذكور ومذهبه المؤلف يدعو إلى العجب لأنه وافق الرواية وهي الفتح الخالص كما هي طريق الأصبهاني عن ورش ورواية قالون وقراءة المكي والشامي وعاصم وأبي جعفر ويعقوب ووجه العجب أنه يبين لنا كيفية انشطار الروايات وتعددها وهو ما يسمى بتركيب الطرق وهو رغم ما فيه من العيوب قد لا يعترض عليه مادام دورانه في فلك الرواية وإنما يعترض عليه من حيث إمكانية تعدده حتى تصبح الروايات بالآلاف مما يقلب الأمر من السهولة إلى التكلف ومن اليسر إلى العسر ويشغل الناس عما كلفوا به من تدبر القرآن وتعقله وفقهه.

قال ابن الجزري في النشر: بعد ذكر رعيل التابعين ما نصه " ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا بذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم" [٣٩] .

وكان هذا أخطر قرار اتخذه المصنفون من طرق الرواة ابتداء بابن مجاهد وانتهاء بابن الجزري رحمهم الله تعالى ، قرار الاكتفاء بنسبة القراءات إلى هؤلاء الذين اختار منهم ابن مجاهد من تلقاء نفسه القراء السبعة وتبعه عامة

[٣٩] / النشر في القراءات العشر : ١ / ٩

المصنفين من طرق الرواة وساروا على نهجه [٤٠] ، وليس بهذا الإجتهاد الذي أسس له ابن مجاهد مندوحة ؛ إذ يعتبر ذلك رأيا رآه من نفسه وليس الباب موصودا فيمن جاء بعده أن يقرر شيئا آخر لا يخرج على حقيقة كيفية اختيار القراء كما وجه ذلك في اختياره ، وهو بهذا لم يئد الأداء بالقرآن كما كان يقرأ به كل من أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة والتابعين المتلقين منهم

ومهما قيل بخصوص تسبيع ابن مجاهد فلا يجوز الطعن في القراء السبعة والعشرة وغيرهم وكذلك الطعن في المصنفين من طرقهم بل أشكر لهم أن لم يدلسوا ولم يخلطوا الأداء بالقياس وإنما أعلنوا الأداء والرواية ، ولم يلتفتوا لمن قالوا بخلاف هذا.

القراء قبل ابن مجاهد:

وقد كان مشاهير القراء قبل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤ هـ) على النحو الآتي:

١ ـ عبد الله اليحصبي ، المعروف بابن عامر (شامي) (ت: ١١٨ هـ)

٢ ـ عاصم بن أبي النجود (كوفي) ، (ت: ١٢٧ هـ).

٣ ـ عبد الله بن كثير الداري (مكي) ، (ت: ١٢٩ هـ).

٤ ـ أبو عمرو بن العلاء (بصري) ، (ت: ١٥٤ هـ).

٥ ـ نافع عبد الرحمن بن أبي نعيم (مدني) ، (ت: ١٦٩ هـ).

٦ ـ حمزة بن حبيب الزيات (كوفي) ، (ت: ١٨٨ هـ).

٧ ـ يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي (بصري) ، (ت: ٢٠٥ هـ).

وقد حذف ابن مجاهد يعقوب من السبعة وأثبت مكانه علي بن حمزة (الكسائي الكوفي) (ت: ١٨٩ هـ) واعتبره من القراء السبعة. وهكذا كان. أما من عد القراء عشرة ، فأضاف لهم زيادة على تسبيع ابن مجاهد وتعيينه لهم،

[٤٠] /المصدر السابق ، النشر في القراءات العشر : ١/ ٨ ــ ٩ .

يزيد بن القعقاع (ت: ١٣٠ هـ) ويعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥ هـ) وخلف بن هشام (ت: ٢٢٩ هـ) ويبدو أن الكسائي (ت: ١٨٩ هـ) لم يكن معدودا من القراء السبعة ، وإنما ألحقه ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها بدل يعقوب الحضرمي وقد كان السابع [٤١].

وفي ضوء هذا نجد القراء عند ابن مجاهد ، هم: نافع ، ابن كثير ، عاصم، حمزة بن حبيب، الكسائي ، عمرو بن العلاء ، عبد الله بن عامر. وقد عقب ابن مجاهد على ذلك بقوله: (فهؤلاء سبعة نفر ، من أهل الحجاز ، والعراق ، والشام ، خلفوا في القراءة التابعين ، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار)[٤٢].

وواضح أن تقسيم ابن مجاهد تقسيم إقليمي نظر فيه إلى اعتبار الأمصار التي وجهت إليها المصاحف في عهد عثمان (رضي الله عنه) لا باعتبار تعصب إقليمي من قبله. وابن مجاهد أول من اقتصر على هؤلاء السبعة ، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام ، إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة ، من القرآن وتفسيره ، والحديث ، والفقه في الأعمال الباطنة و الظاهرة وسائر العلوم الدينية [٤٣].

القراء العشر:

وقد تبع ابن مجاهد الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ بتصنيف القراء في ضوء الأقاليم الإسلامية ، ولكنه خالف معه بالتعيين ، فأسماء القراء المشهورين عنده باعتبار الأمصار كالآتي:

---

[٤١] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ١٥٣ .

[٤٢] / ابن مجاهد ، كتاب السبعة : ٨٧ .

[٤٣] / القسطلاني ، لطائف الإشارات : ١ /٨٦ .

١ــ أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، مدني وليس من السبعة.

٢ــ عبد الله بن كثير ، مكي من السبعة.

٣ــ عاصم بن أبي النجود ، كوفي من السبعة.

٤ــ حمزة بن حبيب ، كوفي من السبعة.

٥ــ علي بن حمزة الكسائي ، كوفي من السبعة.

٦ــ خلف بن هشام ، كوفي ، وليس من السبعة وله اختيار.

٧ــ أبو عمرو بن العلاء ، بصري من السبعة.

٨ ــ يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، بصري وليس من السبعة.

٩ــ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني بصري ، وليس من السبعة.

١٠ــ عبد الله بن عامر ، شامي من السبعة [٤٤].

فالطبرسي عد من القراء السبعة ؛ عبد الله بن كثير ، وعاصم ، وحمزة بن حبيب ، والكسائي ، وأبوعمرو بن العلاء ، وعبد الله بن عامر ، بينما أسقط نافع بن عبد الرحمن ، قارىء أهل المدينة.

وعد من غيرهم: يزيد بن القعقاع ، وخلف بن هشام ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وسهل بن محمد السجستاني. فعدة القراء المشهورين عنده عشرة. وقد عقب على تعيينه لهؤلاء بما يلي: وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين:

أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم. ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء ، وعدت قراءتهم في الشواذ، لم يتجرد لذلك تجردهم ، وكان الغالب على أولئك الفقه والحديث أو غير ذلك من العلوم.

---

[٤٤] / الطبرسي ، مجمع البيان : ١ / ١١ وما بعدها .

والآخر: (أن قراءتهم وجدت مسندة لفظا أو سماعا حرفا حرفا من أول القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم ، وكثرة علمهم بوجوه القرآن) [٤٥].

حتى إذا جاء ابن مجاهد التميمي البغدادي (ت: ٣٢٤ هـ) فاختار من الجميع أولئك. وقد علل مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) وجه الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم فقال: (إن الرواة من الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد ، كثيرا في الاختلاف ، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة ، وحسن الدين ، وكمال العلم ، فقد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل عصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما روى ، وعلمه بما يقرأ ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان رضي الله عنه مصحفا ، إماما هذه صفته ، وقراءته على مصحف ذلك المصر) [٤٦].

ولا مرية أنه كما يتعبد بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، يتعبد بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة. عن أئمة القراء ، ومشايخ الإقراء ، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية ، التي لا يجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها [٤٧]. وقد بلغت القراءات السبع حد الرضا والقبول عند المسلمين وعلمائهم ، فلم يؤثّر عليها تعدد القراءات ، ولم يؤثّروا عليها سواها.

وكان إلى جنب القراءات اختيار في القراءات قد تشمل هذه القراءات ــ كما سيأتي ــ وقد لا تشملها ، وهي لا تحمل الطابع الشخصي لأصحابها ، بل هي ضمن قواعد قد تتسم بالطابع الشمولي العام.

---

[٤٥] / المصدر نفسه : ١/ ١٢ .

[٤٦] / مكي أبوطالب ، الإبانة : ٤٧ ــ ٤٨ .

[٤٧] / القسطلاني ، لطائف الإشارات : ١ / ٢٠٩ .

قال مكي بن أبي طالب في كتابه الإبانة: وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذ اجتمع فيه ثلاثة أشياء:

قوة وجهه في العربية.

وموافقته للمصحف.

واجتماع العامة عليه.

والعامة – عندهم – ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ، فلذلك عندهم حجة قوية ، فوجب الاختيار. وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين. وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم ، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحها سندا ، وأفصحها في العربية ، ويتلوهما في الفصاحة خاصة: قراءة أبي عمرو والكسائي رحمهم الله [٤٨].

ويبدو مضافا إلى ما تقدم ، أن لأئمة الإقراء أنفسهم تصرفا يقوم على حسن النظر وأصول الاستنباط ، يتمثل باختيارهم للقراءة التي تنسب إليهم ، فهم يتدارسون القراءات على يد نخبة من التابعين ، ومن ثم يقارنون بين هذه القراءات التي أخذوها ، ويحكمون مداركهم في أسانيدها وأصولها ومصادرها ، فيؤلفون القراءة التي يختارونها بناء على كثرة الموافقات عند أغلب الشيوخ المقرئين. فقد قال نافع بن أبي نعيم (ت: ١٦٩ هـ) وهو يتحدث عن مشايخه في الإقراء: (أدركت هؤلاء الخمسة وغيرهم... فنظرت إلى ما أجمع عليه اثنان منهم فأخذته ، وما شذ فيه واحد تركته ، حتى ألفت هذه القراءة) [٤٩].

وربما كان المقرئ مخالفا لأستاذه في اختياره للقراءة ، ناظرا في وجوه القراءات الأخرى ، كما هي الحال عند الكسائي حينما اختار من قراءة حمزة

---

[٤٨] / مكي ، الإبانة في معاني القراءات : ٤٨ وما بعدها

[٤٩] / ابن مجاهد ، كتاب السبعة : ٦٢

وقراءة من سواه ، وأسس لنفسه بذلك اختيارا [٥٠].

قال ابن النديم: (وكان الكسائي من قراء مدينة السلام ، وكان أولا يقرأ الناس بقراءة حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة ، فاقرأ بها الناس)[٥١].

وقد كان لأبي عمرو بن العلاء اختيار من قراءة ابن كثير ، وهو شيخه ، ومن قراءة غيره ، وأسس بذلك لنفسه قراءة تنسب إليه [٥٢].

وقد شجعت ظاهرة الاختيار في القراءة على القضاء على النزعة الإقليمية التي انتشرت في نسبه القراءات للأمصار ، إذا امتزجت هذه القراءات في الأغلب نتيجة للاختيار ، فتداخلت قراءة أهل المدينة بقراءة أهل الكوفة ، وقراءة الشام بقراءة العراق ، فلم تعد القراءة فيما بعد إقليمية المظهر ، بقدر ما هي علمية المصدر ، وفي هذا الضوء وجدنا القراء السبعة يمثلون خلاصة التجارب الماضية للقرنين الأول والثاني في العطاء العلمي المشترك بين الأقاليم ، لما في ظاهرة الاختيار لدى أئمة الأقراء من عناصر مختلفة القراءات ، حتى وحدت ونسبت منفردة إلى عاصم ، أو نافع ، أو الكسائي ، وهي عصارة قراءة لمصرين ، أو قراءات لأمصار ، تتفق مع قراءة بوجه ، وتختلف مع قراءة بوجه آخر ، وتجمع بين هذين بما ألف قراءة منظورة متميزة ، تعني تجارب السابقين ، وعطاء المتخصصين. حتى وقف الاختيار على أعتاب القرن الرابع ، حيث بدأ ابن مجاهد في حفظ القراءات والاختيارات ، دون التفكير بتجديد ظاهرة الاختيار التي لم تعد من هموم هؤلاء الأعلام أمثال ابن مجاهد ، بل اتجهت هممهم إلى صيانة تلك القراءات. فقد روى الذهبي عن عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم ، وهو تلميذ ابن مجاهد ، قال: (سأل رجل ابن مجاهد ، لم

---

[٥٠] / المصدر نفسه : ٧٨ .

[٥١] / ابن النديم ، الفهرست : ٣٠ .

[٥٢] / ابن الجزري ، غاية النهاية : ٢ / ٣٧٦ .

لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عليه ؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل (نستعمل) أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا ، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا) [٥٣].

وفي ضوء ما تقدم يبدو لنا أن الاختيار عبارة عن استنباط القراءة من خلال النظر الاجتهادي المسود بالتلقي الصحيح في القراءات السابقة ، والموازنة فيما بينها على أساس السند في الرواية ، أو الوثاقة في العربية ، أو المطابقة في الرسم المصحفي ، أو إجماع العامة ، من أهل الحرمين أو العراقين، أو الموافقة بين مقرئين ، ومن خلال ذلك نشأت القراءات المختارة. يقول القرطبي: (وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روي وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ، والتزم طريقه ورواه ، وأقرأ به ، واشتهر عنه وعرف به) [٥٤].

ويرى الدكتور الفضلي: أن اجتهاد القراء لم يكن في وضع القراءات ــ كما توهم البعض ــ وإنما في اختيار الرواية ، وفرق بين الاجتهاد في اختيار الرواية والاجتهاد في وضع القراءة [٥٥]. فإضافة القراءة لصاحبها إضافة اختيار لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد من عنده [٥٦]. ومما يؤيده ما أورد أبو شامة باعتبار القراءة سنة ، والسنة لا مورد فيها للاجتهاد بالمعنى المشار إليه: (ألا ترى أن الذين أخذت عنهم القراءة إنما تلقوها سماعا ، وأخذوها مشافهة ، وإنما

[٥٣] / الحافظ الذهبي ، معرفة القراءة : ١ / ١٧١ .

[٥٤] / القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٤٠ .

[٥٥] / الفضلي ، القراءات القرآنية : ١٠٦ .

[٥٦] / ابن الجزري ، النشر : ١ / ٥٢

القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول ، ولا يلتفت في ذلك إلى الصحف ، ولا إلى ما جاء من وراء وراء)[٥٧].

وإلى جانب الحيطة في الاختيار ، كانت الحيطة للقراءة نفسها ، فلم يأخذوا بكل قراءة ، بل وضعوا بعض المقاييس النقدية الاحترازية لقبول القراءة أو رفضها ، مما ينصح معه مدى عناية القوم بالقراءة المختارة ، بعد أن عسر الضبط ، وظهر التخليط ، واشتبه الأمر. قال القسطلاني نقلا عن الكواشي: (فمن ثم وضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع إليه ، ومعيارا يعول عليه ؛ وهو السند والرسم والعربية ، فكل ما صح سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ، ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ)[٥٨] والشاذ لا يعمل به في القراءات ولا يقاس عليه ، (وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم ، على أن الشاذ ليس بقرآن ، لعدم صدق حد القرآن عليه ، أو شرطه وهو التواتر)[٥٩]. وكأن ابن الجزري قد أدخل جانب الاحتمال في بعض الشروط ، وصنف القراءة المعتبرة والباطلة فقال: (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها.. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم.

وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف)[٦٠].

---

٥٧ / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ١٣٢ .

٥٨ / القسطلاني ، لطائف الإشارات : ١ / ٦٧ .

٥٩ / المصدر نفسه : ١ / ٧٢ .

٦٠ / انظر المصدر السابق ، ذات الصفحات . السيوطي ، الإتقان : ١ / ٢١٠ .

وتكاد أن تتلاقى كلمات الأعلام في مقياس القراءة الصحيحة ، وتتداعى الخواطر. في صياغة ألفاظها ، فقد اشترط مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) في وجه صحتها ما يلي:

(أن ينقل عن الثقات إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا ، ويكون موافقا لخط المصحف) [٦١].

ومع هذا نجد الداني جديا في مسألة القراءة ، إذ يعتبرها سنة لا تخضع لمقاييس لغوية ، وإنما تعتمد الأثر والرواية فحسب ، فلا يردها قياس ، ولا يقرّبها استعمال فيقول: (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير إليها)[٦٢].

وما أبداه الداني لا يخلو من نظر أصيل ، إذ القراءة إذا كانت متواترة صحيحة السند ، فهي تفيد القطع ، ولا معنى لتقييد القطع بقياس أو عربية ، فالعربية إنما تصحح في ضوء القرآن ، ولا يصحح القرآن في ضوء العربية ، ومع هذا فإن الإجماع القرائي يكاد أن يكون متوافرا على اشتراط صحة السند ، ومطابقة الرسم المصحفي ، وموافقة اللغة العربية ؛ لهذا تختلف النظرة بالنسبة للقراءة في ضوء تحقق هذه الشروط أو عدمه ، وقد نتج عنه تقسيم القراءات إلى صحيحة وشاذة ، فما اجتمعت فيه من القراءات هذه الشروط فهو الصحيح ، وما نقص عنه فهو الشاذ.

وبهذا كان المعتمد والمعول عليه في القراءات ما ذهب إليه الداني في قول السابق ، مما جعل أثره يتضح في إماتة أي مقياس جديد ؛ كما جرى ذلك ــــ

---

[٦١] / مكي ، الإبانة : ١٨ .

[٦٢] / السيوطي ، الاتقان : ١ / ٢١١ .

في عهد ابن مجاهد ــ مقياسان آخران ، وماتا في مهدهما ، لعدم تلقي المسلمين لهما بالقبول ، ولرفضهم لهما ، وهما:

مقياس ابن شنبوذ (ت: ٣٢٧ هـ) الذي اكتفى فيه بصحة السند وموافقة العربية.

ومقياس ابن مقسم (ت: ٣٥٤ هـ) الذي اكتفى فيه بمطابقة المصحف وموافقة العربية [٦٣].

وقد تحرر للسيوطي مع المقارنة فيما كتبه ابن الجزري في النشر ، أن القراءات أنواع منها:

الأول: المتواتر ، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور ، وهو ما صح سنده ، ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء.

الثالث: الآحاد ، وهو ما صح سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر بالاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به.

الرابع: الشاذ ، وهو ما لم يصح سنده.

الخامس: الموضوع ، (وهو ما لا أصل له).

السادس: ما زيد في القراءات على وجه التفسير [٦٤].

وهذا التقسيم الذي استخرجه السيوطي مما أفاضه ابن الجزري جدير بالأهمية إذ هو جامع مانع كما يقول أهل منطق. وتبقى النظرة إلى هذه القراءات متأرجحة بين التقديس والمناقشة ، فمن يقدسها يعتبرها قرآنا ، ومن يناقشها يعتبرها علما بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم ، وفرق بين القرآن و العلم بأداء

---

[٦٣] / الفضلي ، القراءات القرآنية : ٣٩ وانظر مصدره .

[٦٤] / السيوطي ، الاتقان : ١ / ٢١٦ .

كلمات القرآن. فالباقلاني يذهب: (أن القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى ، وأنها تنقل خلفا عن سلف ، وأنهم أخذوها من طريق الرواية ، لا من جهة الاجتهاد ، لأن المتواتر المشهور أن القراء السبعة إنما أخذوا القرآن رواية ، لأنهم يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه) [٦٥].

بينما خالفه الزركشي في هذه الملحظ ، واعتبر القرآن حقيقة ، والقراءات حقيقة أخرى فقال: (والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما) [٦٦].

والحق أن رأي الزركشي يتفق مع تعريف القراءات المتداول عند أئمة التحقيق ، فقد ذهبوا إلى أن علم القراءات: هو علم يعرف منه إتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والأعراب ، والحذف والإثبات والتحريك والإسكان ، والفصل والإتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق ، والإبدال من حيث السماع [٦٧].

والحق أنه لا علاقة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات ، فالقرآن هو النص الإلهي المحفوظ ، والقراءات أداء نطق ذلك النص إتفاقا أو اختلافا ، والقرآن ذاته لا اختلاف في حقيقته إطلاقا.

وقد استظهر الزركشي تواتر القراءات عن القراء السبعة: (أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد ، ولم

---

[٦٥] / الباقلاني ، نكت الانتصار لنقل القرآن : ٤١٥ .

[٦٦] / الزركشي ، البرهان : في علوم القرآن : ١ / ٣١٨ .

[٦٧] / القسطلاني ، لطائف الإشارات : ١ / ١٧٠ .

تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة ، وهذا شيء موجــود فـــي كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه « المرشد الوجيز » إلى شيء من ذلك)[٦٨].

[٦٨] / الزركشي ، البرهان : ١ / ٣١٩ .

المبحث الرابع

أثر اللهجات على القراءات

ولقد تأثر علم القراءات منذ نشأته بمنعطفين اثنين:

أولهما: تمسك القراء بعد جيل التابعين بلهجات الصحابة من العرب الذين عاصروا نزول القرآن الكريم ، و من المعروف أن جيل الصحابة فضلا عن التابعين لم يمض حتى لم يعد في الجزيرة قبيلة متقوقعة لا تعرف غير لهجتها ، ـــ وقد كان احتفاءهم بالقرآن عظيما فحفظوه أمراء وجند ، ويؤكد لنا ذلك ماروا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما رأى تلاحيهم[٦٩] في قراءة القرآن في مواقع رباطهم ـــ وقد وقع الاختلاط بين القبائل اثر تحرك الرجال إلى الجهاد خارج الجزيرة وتأثر العرب ببعضهم ، وأثروا أيضا فيمن دخل الإسلام من العجم وغيرهم ، إلا أن تأثر العرب بالعجم كان من ناحية ثقافية أي من جهة الملبس والمأكل وأنواع الفرش وغيره ، وذلك لا يرقى أن يكون له اثر في رواية القرآن الكريم ونحن نرى الآن القراء المهرة من البلاد غير العربية فصحاء ماهرين بالقرآن الكريم ؛ وذلك من الحرص في التلقي بالمشافهة: مثل بلدان(داغستان ، وباكستان وأفغانستان ، وبيجيريا ، والسنقال وغيرها...)[٧٠].

وأما ثاني المنعطفين:

فقد بدأ مع نهاية القرن الثاني عقب قرّاء الأمصار إذ خلفتهم أجيال قال عنها ابن الجزري: فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ومنهم

---

[٦٩] / اختلافهم وشجارهم .

[٧٠] / في مسابقة دبي الدولية كثيرا ما يفوز بها أبناء هذه البلدان العجمية بل لقد رأينا من أبناء العجم من هذه البلدان من هو ماهر بالقرآن وعمره دون السابعة . ونحن نقول هذا في زماننا اليوم ، بيد أن الحرص على القرآن في ذلك الزمان كان أعظم وأشد .

المقصّر على وصف من هذه الأوصاف وكثر بينهم لذلك الاختلاف وقلّ الضبط واتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق [٧١]. وخلص بعد ذلك ابن الجزري إلى أن سبب تأصيل أصول وأركان القراءات التي هي صحة السند وموافقة وجه من النحو والرسم ، واعتبار خلو القراءة من أحد هذه الأركان الثلاثة عند أئمة التدوين منذ القرن الثالث دليلا قويا لوصفها بالشذوذ.

وإذا كان تعدد تلك الأحرف (الأحرف السبعة) التى أبيح الإقراء بها مما خفف به عن الأمة ، فكيف يجوز لأحد أن يشدد عليها ، وإذا كان ذلك للرحمة فلا شك أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لم يتجاوز ما صح إثباته في العرضة الأخيرة ، بل وما ينبغي أن يتجاوز هذه الرحمة ، ويجمع المسلمين على حرف واحد ؟ فإن كان في المسلمين الأوائل من يعجز عن تلاوة القرآن حق تلاوته ، أو أن ينطق به كما نزل فتجوّز بالأحرف السبعة تيسيرا ، وهم أبلغ العرب ، فما بال المسلمين في عصر عثمان رضي الله عنه ، وما بالنا نحن في هذا العصر الذي انطمست فيه خصائص العربية حتى شدد علينا في حرف واحد.

ولهذا يصح بأن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قد جمع القرآن بما كان فيه وعليه من القراءة بالأحرف السبعة على النحو الذي تلقاه الصحابة بالمشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة ، حتى علم — إلى عصرنا هذا — أن من لم يتبع التلقي في حفظ القرآن الكريم بالسند المتصل فهو كالمنبت.

ولا يمكن دفع هذا الحديث الذي ثبتت صحته ، في مواجهة دعوى من يرى أنه لا أثر للخط المصحفي في تعدد القراءات واختلافها ، دون التلقي الشفهي المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت موافقة خط المصحف أساسا لقراءات عدة ، وميزانا للرضا والقبول والاعتبار ، وليس

---

[٧١] / النشر : ١/ ٩ .

هذا معناه تحكم الخط بالقراءة. مع علمنا بأن الثابت في تلقي القرآن الكريم كان الاعتماد فيه على المشافهة. لهذا نرى إذا سلمنا جدلا بأثر الخط في القراءة دون المشافهة فكيف بنا حين نقرأ: (الم ، كهيعص ، وجملة الحروف المقطعة في بداية السور) إذ لو عرضت هذه الحروف بهذه الهيئة فسيقرؤها القاري (مثل أي كلمة جملة واحدة) بخلاف قراءتها على الهيئة المعروفة في القراءة المتبعة بالمشافهة.

كما لا يمكننا الحكم بعدم تأثير الخط المصحفي على تفرع القراءات القرآنية، ولكن نرى أن جزءا كبيرا من اختلاف القراءات قد نشأ عن النقل الشفاهي المتواتر المرتكز على الأحرف السبعة ؛ الذي روعي من جانب كتبة الوحي كما أسلفنا ؛ ومن هنا جاء تعدد القراءات الذي لاحظوه في الكتابة ففرقوها بين المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار ، فما لم يثبتوه في هذا أثبتوه في الآخر ولم يكتبوه بالهامش حتى لا يكون أقل في قوته من الذي كتب داخل المتن.

قال القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ) مشيرا إلى ذلك: (ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم ،وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته ، وفاقا لبدعتهم... رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للإقراء بشأن القرآن العظيم) [٧٢]. وتابعه على هذا الدمياطي البنا (ت: ١١١٧ هـ) وصرح بالأسباب ذاتها [٧٣].

فقد كان لاحتمال الرسم ، ما تطاول به أهل البدع فيقرؤون بما لا تحل تلاوته ، ولا تصح قراءته ، ومعنى هذا أن قراءات ما قد نشأت عن هذا الملحظ، فاحتاط المسلمون لأنفسهم بقراءات أئمة ثقات لدفع القراءات المبتدعة.

---

[٧٢] / القسطلاني ، لطائف الإشارات : ١ / ٦٦ .

[٧٣] /) الدمياطي ، اتحاف فضلاء البشر : ٥ .

وقد يقال: بأن الاختلاف في القراءات مما شاع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه القراءات السبع أو العشر أو الأكثر إنما تبرز بالمشافهة تلك القراءات كما كانت في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ونحن وإن كنا لا ننكر جزءا ضئيلا من هذا ، إلا أن الواقع المرير لتلك الروايات القائلة باختلاف القراءات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تستند إلى حقيقة تأريخية معينة يصرح فيها بنوعية هذا الاختلاف في القراءة ، ولا تعطينا نماذج مقنعة بكيفية هذه القراءات المختلفة ، بل تذهب مذاهب التعميم الفضفاض الذي لا يقره المنهج العلمي ، وذلك أن الاختلاف المدعي في القراءات بعهد النبي صلى الله عليه وسلم يعرض بروايات ، مدارها أحاديث الأحرف السبعة التي صحت سندا ومتنا ، فإن لم تعرف دلالتها اليوم على وجه القطع بذلك العلم ؛ إلا أنها كانت معلومة علما لم يخامره الشك حتى لم يترك لنا ما يشئ بالجهل بها لدى الصحابة رضوان الله عليهم ، وتارة تنسب الاختلافات في القراءة إلى الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو المصدر الأول في الأخذ به فيها (أي القراءات).

إن الاختلاف في القراءات جر المسلمين إلى صراع داخلي ونزاع هامشي تحسس الصحابة إلى خطره على القرآن فجمعوهم على قراءة لاحظت ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة.

وإننا لا ننكر الاختلاف في القراءات في عهد مبكر ، فباستعراض تأريخ الموضوع يبدو أن تمايز القراءات كان موجودا قبل توحيد القراءة زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه ، فقد أشير إلى كثرة الاختلاف بعهده ، حتى قال الناس: قراءة ابن مسعود ، وقراءة أبي وقراءة سالم [٧٤].

---

[٧٤] / مقدمتان في علوم القرآن : ٤٤ . وانظر أيضا مبحث الأحرف السبعة من هذا البحث .

فقد أورد أبو شامة عن زيد بن أرقم قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أُبيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، بقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وعلي عليه السلام إلى جنبه ، فقال علي: ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل حسن جميل..) [٧٥].

وقد ذكر الطبري هذه الرواية ، وتعقبه الأستاذ أحمد محمد شاكر في تعليقه فقال: (هذا حديث لا أصل له ، رواه رجل كذاب ، هو عيسى بن قرطاس ، قال فيه ابن معين: ليس بشيء لا يحل لأحد أن يروي عنه. وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الثقات ، لا يحل الاحتجاج به. وقد اخترع هذا الكذاب شيخا له روى عنه وسماه: زيد القصار ، ولم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكرا في شيء من المراجع..)[٧٦]

وبعد هذا ، فليس هناك مسوغ على الإطلاق أن نأخذ بكل رواية على علاتها دون تمحيص ، ودون تجويز تضعيف من ثبت ضعفه من الضعفاء من الرواة.

وفي شأن الحروف السبعة ، وإن كان لا علاقة لها بالقراءات ، إلا أن البعض حملها على ذلك ، بينما ورد عن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (يعني الإمام جعفر الصادق): إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال: (كذبوا ، أعداء الله ، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد) [٧٧] وقد يقال بأن مصدر القراءات هو اللهجات ، ولا علاقة لها إذن بصحة السند ، وموافقة كتابة المصحف ، بل الأساس ارتباطها ببعض العرب في لغاتهم القبلية ، وإلى هذا المعنى يشير السيوطي بما أورده أبو شامة

---

[٧٥] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ٨٥ .

[٧٦] / الطبري ، جامع البيان : ١ / ٢٤ الهامش .

[٧٧] / المصدر نفسه : ٢ / ٦٣٠ .

عن بعضهم: (أنزل القرآن بلسان قريش ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والأعراب)[٧٨].

وقد سبقه بذلك القول ابن قتيبة بما تحدث به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فكان من تيسيره أن أمره الله بأن يقرىء كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه)[٧٩].

وقد تبنى هذا الرأي الدكتور طه حسين ، فاعتبر اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن الكريم كما كان يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم وعشيرته قريش ، اعتبر ذلك أساسا لاختلاف القراءات ، فقرأته هذه القبائل كما كانت تتكلم ، فأمالت حيث لم تكن تميل قريش ، ومرت حيث لم تكن تمر ، وقصرت حيث لم تكن تقصر ، وسكنت ، وأدغمت ، وأخفت ، ونقلت [٨٠].

وهو بهذا يريد أن ينتهي إلى أن اللهجات هي مصدر القراءات ، وهو ينكر تواترها ، وينعى على من رتب أحكاما عريضة على نكرانها ، فيقول: (وهنا وقفة لا بد منها ، ذلك أن قوما من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة... والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافرا ، ولا فاسقا ، ولا مغتمزا في دينه ، وإنما هي: قراءات مصدرها اللهجات واختلافها... فأنت ترى أن هذه القراءات إنما

---

[٧٨] / السيوطي ، الاتقان : ١ / ٤٧ .

[٧٩] / ابن قتيبة ، تأويل القرآن : ٣٠ .

[٨٠] / طه حسين ، في الأدب الجاهلي : ٩٥ .

هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات) [٨١]. ولقد جهد المحققون منذ القرن الأول للهجرة حتى عهد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤ هـ) وهو موحد القراءات أو مسبعها إن صح التعبير ، في دراسة ظواهر القراءات القرآنية ، متواترها ، ومشهورها ، وشاذها ، فارجعوا جزءا من الاختلاف في القراءة إلى مظهر من مظاهر اللهجات العربية المختلفة ، وعادوا بجملة من الألفاظ إلى استعمال جملة من القبائل ، ذلك مما يؤيد وجهة النظر في عامل اللهجات ، والاستئناس به عاملا مساعدا في تعدد القراءات ، وللسبب ذاته فإن تلاشى اللهجات وتوحيدها بلهجة قريش ، قد ساعد أيضا على تلاشي واضمحلال كثير من جزئيات هذه القراءات وعدم إساغتها منذ عهد مبكر ، بل إن توحيد القرآن للغة العرب على لغة قريش ، وقصرهم عليها كان أساسا جوهريا في إذابة ما عداها من لغات ، مما أزاح تراكما لغويا يبتعد عن الفصحى ابتعادا كليا ، فلا تجد بعد ذلك عنعنة تميم ، ولا عجرمية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا تلتلة نهراء ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا إمالة أسد وقيس ، ولا طمطمانية حمير.

وما أراه أن ذلك من الآثار المصاحبة التي لم تكن في الحسبان فإن بقاء اللهجات أو زوالها مسألة مرتبطة بالزمن والتطور وتبدل الحال الذي لا ثبات له فمن كان عجميا استولد ابنا عربيا فصيحا بحكم المعاشرة وتلاحم الحياة والبيئة ، أما ما كان متعلقا بالقراءات فإن ذلك من باب التوقيف الذي أخذ من النبي صلى الله عليه وسلم. وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نخرج برأي واضح لا نخالف فيه من سبقنا إلى دراسة هذا الموضوع ، فنعتبر كلا من شكل المصحف ، وطريق الرواية إلى النبي صلى الله عليه و سلم ، وتعدد اللهجات العربية ، قضايا ذات

[٨١] / طه حسين ، في الأدب الجاهلي : ٩٥ ــ ٩٦ . (وقد اجتهد عدد كبير من الغيورين في الرد على طه حسين هذا القول وهو بلا شك ينكر أحاديث ثبت تواترها كما رأيت ذلك في مبحث الأحرف السبعة من هذا البحث) .

أهمية ليست متكافئة باعتبار أن أصل تنوع القراءات مرده إلى النقل ألشفاهي المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا لا يلتفت لقول من يرد ذلك التنوع والاختلاف في القراءة إلى اختلاف اللهجات العربية. كما ذهب إلى ذلك جملة من المستشرقين ومن مردوا على محاكاتهم من المستغربين.

وللتدليل على صحة هذا لا بد لنا من الوقوف عند أدلته وقفة مقنعة ، فأن اختلاف مصاحف الأمصار في الرسم ، وما نشأ عنه من اختلاف أهل المدينة وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل الشام في القراءة ، إنما كان مصدره الشكل المصحفي الذي استنسخ عن المصحف الإمام. وهي اختلافات لا نقطع بمصدرها الكتابي ، بل نرجحه ، لما ثبت تاريخيا من تواتر نقله ، وقد أحصى أبو داود ذلك في كتاب المصاحف إحصاء دقيقا [٨٢].

وقد أيد هذا الرأي محمد بن جرير الطبري (في ٣١٠ هـ) بما نقله عنه أبو شامة فقال: (لما خلت تلك المصاحف من الشكل والإعجام وحصر الحروف المحتملة على أحد الوجوه ، وكان أهل كل ناحية من النواحي التي وجهت إليها المصاحف ، قد كان لهم في مصرهم ذلك من الصحابة معلمون... فانتقلوا عما بان لهم أنهم أمروا بالانتقال عنه مما كان بأيديهم ، وثبتوا على ما لم يكن في المصاحف الموجهة إليهم ، مما يستدلون به على انتقالهم عنه) [٨٣]. أي كان الاعتماد على السماع والمشافهة.

وما دامت الروايات مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فما المانع أن يكون الحدب على وصول هذه الروايات من مختلف الأسانيد سببا من تعدد هذه القراءات ، سواء أكانت تلك الروايات صحيحة أم ضعيفة ، وقد أورد من هذا

---

[٨٢] / ابن أبي داود ، كتاب المصاحف : ٣٩ ــ ٤٩ .

[٨٣] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ١٤٩ وما بعدها .

القبيل أبو شامة شواهد على الموضوع ، يتحمل عهدتها [٨٤]. وقد سبقه ابن عطية رحمه الله فأورد عدة روايات تؤكد كثرة الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علاتها ، وانتهى فيها إلى القول: (ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترق الصحابة في البلدان ، وجاء الخلف ، وقرأ كثير من غير العرب ، ووقع بين أهل الشام وأهل العراق ما ذكر حذيفة... فقرأت كل طائفة بما روي لها) [٨٥].

وما دام للعرب لهجات ولغات، فلا ينتفي أن تكون هذه اللغات سببا مباشرا أو غير مباشر في جزء من هذه القراءات، (إذا سلمنا بأن من مفهوم الأحرف السبعة المقروء بها هي بعض لغات العرب) وقد قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مشيرا إلى قراءة أبيّ بن كعب: (إنا لنرغب عن كثير من لحن أُبيّ) [٨٦]. وقد أورد أبو شامة عن الإمام ابن جرير الطبري في (٣١٠ هـ) ما يؤيد فيه هذا العامل فقال: (فإن قيل: فما تقولون في هذه القراءات السبع التي ألفت بالكتب ؟ قلنا: إنما أرسل أمير المؤمنين المصاحف إلى الأمصار الخمسة بعد أن كتبت بلغة قريش ، فإن القرآن إنما نزل بلغتها ، ثم أذن رحمة من الله تعالى ، لكل طائفة من العرب أن تقرأ بلغتها على قدر استطاعتها ، فلما صارت المصاحف في الآفاق غير مضبوطة ولا معجمة قرأها الناس فما أنفذوه منها نفذ، وما احتمل وجهين طلبوا فيه السماع حتى وجدوه) [٨٧].

والطريف في رأي الطبري ، وهو من قدامى المفسرين ، أن يجمع هذه العوامل الثلاثة ، فينص على اختلاف اللهجات ، ويشير إلى شكل المصحف

---

[٨٤] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ٨٦ وما بعدها .

[٨٥] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ٨٦ وما بعدها .

[٨٦] / ابن ابي داود ، كتاب المصاحف : ٣٢ .

[٨٧] / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ١٥٠ .

وإعجامه ، ويؤكد جانب السماع في الروايات التي توصلوا فيها إلى نطق القرآن الكريم.

وعامل اللهجات ، وإن محصّ متأخرا ، وتمحض له الدكتور طه حسين، إلا أنه عامل جدير بالتلبث والترصد والاستقراء في إثرائه جانب القراءات، ومواكبته لمسيرتها اللغوية. وقد علمنا خطل هذا الرأي والمنحى الذي اتجه إليه طه حسين وبيناه فيما سبق.

فما من شك أن القرآن قد نزل بلغة قريش، وهي أفصح لغات العرب، وحينما اختار الله تعالى لكتابه اللغة العربية، فلا ريب ان يقع الاختيار على الأفصح، والأفصح لغة قريش بالطبع، وهو الموروث اللغوي المقروء في القرآن الكريم، ويؤيده وصية عثمان رضي الله عنه رهط القرشيين لدى استنساخ المصحف: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت بشيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم)[٨٨].

وعلى ضوء هذا يبدو أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) كان يقرىء الناس بلغة قومه، وهم هذيل، وقد نهاه عمر (رضي الله عنه) عن ذلك بما ذكره أبو داود في سننه: (إن عمر كتب إلى ابن مسعود: أما بعد ، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل)[٨٩].

ويبدو أن مسألة اللهجات كان متفق على أثرها في بدئ نشوء القراءات لحاجة العرب في بداية الدعوة للقراءة بألسنتهم التي جبلت عليها أفواههم فيصعب عليهم الذهاب لغيرها لعثر النطق بغيرها أو للحمية القبلية في الإصرار على النطق بلغاتهم ؛ فيسر الله تعالى عليهم في عدم صدهم في استعمال ألسنتهم

---

٨٨ / البخاري ، الجامع الصحيح : ٦ / ٢٢٤ .

٨٩ / أبو شامة ، المرشد الوجيز : ١٠١ .

حيث منهم الصغير والشيخ المسن ، ولكن سرعان ما توحدت هذه اللهجات بلغة القرآن الكريم ، وبقيت على ما ثبت في العرضة الأخيرة على نحو ما تم نقله وكتابته في عهد الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وتعدد القراءات أنى كان مصدره ، و مهما كان مقياسه صحة أو شذوذا ، فقد حدده الشيخ محمد بن الهيصم ، وقال: أما القراءات فإنها على ثلاثة أوجه:

١ ـ أن يغلط القارىء فيقرأ على خلاف ما هو ، وذلك ما لا يجوز أن يعتد به في قراءات القرآن ، وإنما يرجع لومه على الغالط به...

٢ ـ أن يكون القرآن قد نزل على لغة ، ثم خرج بعض القراء فيه إلى لغة من لغات العرب مما لا يقع فيه خلاف في المعنى ، ترك النكير عليه تيسيرا وتوسعة ، فنقل ذلك ، وقرأ به بعض القراء...

٣ ـ والوجه الثالث من القراءات هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في كل شهر رمضان.. فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقفون منه حروف كل عرض، فمنهم من يقرأ على حرف، ومنهم من يقرأ على آخر، إلى أن لطف الله عز وجل بهم، فجمعهم على آخر العرض، أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة، حتى لم يقع في ذلك اختلاف إلا في أحرف قليلة، وألفاظ متقاربة [٩٠].

والوجه الثالث لا دلالة فيه إذ معارضة القرآن تعني تدقيقه وتوثيقه ، وقد سبق هذا استعرضناه بخصوص الحروف التي نزل القرآن عليها. ومما لا شك فيه أن الاختلاف في جملة القراءات كان في الأقل ، وأن الاتفاق كان في الأعم الأكثر، والنظر في المصاحف الأولى تجده يؤيد الاختلاف في قلة معدودة من الكلمات، نطقا وإمالة وحركات ، وقد جمعت على هذا النحو: (اختلف مصحفا

---

٩٠ / مقدمتان في علوم القرآن : ١٧٠ وما بعدها .

أهل المدينة والعراق في إثنى عشر حرفا ، ومصحفا أهل الشام وأهل العراق في نحو أربعين حرفا ، ومصحفا أهل الكوفة والبصرة في خمســة حــروف)[٩١].

وبعد: تظل القضية قضية تأريخية فحسب ، إذ القرآن المعاصر الذي أجمع عليه العالم الإسلامي ــ وهو ذات القرآن الذي نزل به الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو ذات القرآن المرقوم في اللوح المحفــوظ. الــذي نقــرأه بوجوه القراءات المتداولة كما في (خلاوى الســودان وغيــره مــن كتاتيــب ومحاضر العالم الإسلامي الفسيح)

برواية حفص لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي ، وبغيرها من القراءات الأخرى المعروفة ، أو بقراءة نافع المدني برواية ورش كما في ديار المغــرب العربي.

و المسألة بعد هذا تعد دراسة أثرية تاريخية ، وإن ظهــرت فيهــا الهــوة سحيقة فيما يدعى من خلافات لا طائل معها ، ولكن النظرة العلميــة الفاحصــة تخفف من حدتها ، فما من شك أن عاملا متشابكا وراء تلك الخطوط المتناثرة هنا وهناك ، و ذلك هو المناخ الإقليمي السائد آنذاك في الأفق العلمي ، وهــو مما يجب الوقوف عنده ، وذلك هو النزاع القائم بين مدرستي الكوفة والبصرة ، وما نشأ عنه من تعصب إقليمي حينا ، واختلاف تقليدي حينا آخر ، ومزيج من هذا وذاك في بعض الأحايين، فدرج جيل يصوب رأي الكوفيين ، وآخر يؤيــد نظر البصريين، مما طبع أثره على جملة من شــؤون التــراث ، فــي النحــو واختلاف الإعراب على وجه الخصوص ، وليس في القرآن الكريم كما يــدعي البعض ، فالقرآن الكريم قد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه فوعتــه العقــول ــ قدر طاقتها ــ وحوته الصدور ، و سجل مرقوما في الصحف.

---

[٩١] / المصدر نفسه : ١١٧ .

الخاتمة:

هذه رحلة ذات مركب خطر كان عمادنا فيها هو النقل عن أئمة محصوا هذا الأمر متعبدين به ونحن على آثارهم نتعبد بهذا البحث ؛ نسأل الله أن يجعلنا بــه من أهل القرآن وخدامه ، وكان دافعنا للبحث في هذا الموضوع هو ما أثاره عدد من أصحاب الأهواء في الشبكة العنكبوتية حيث أعادوا دعــاوى ممجوجــة رد عليها جهابذة من العلماء ردوا به عليهم ردودا معلومة.

وحاصل الأمر في هذا الموضوع هو أن الداني رحمه الله تعــالى ؛ كــان يعتبر القراءات القرآنية سنة لا تخضع للمقاييس لغوية ، وإنمــا تعتمــد الأثــر والرواية فحسب ، فلا يردها قياس ، ولا يقرّبها استعمال فيقول: (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغــة ، والأقــيس فــي العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل وإذا ثبتت الروايــة لــم يردّها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعــة ، يلــزم قبولهــا والمصير إليها)[٩٢].

وما أبداه الداني لا يخلو من نظر أصيل ، إذ القــراءة إذا كانــت متــواترة صحيحة السند ، فهي تفيد القطع ، ولا معنى لتقييد القطع بقيــاس أو عربيــة ، فالعربية إنما تصحح في ضوء القرآن ، ولا يصحح القرآن في ضوء العربية ، ومع هذا فإن الإجماع القرائي يكاد أن يكون متوافرا على اشتراط صحة السند ، ومطابقة الرسم المصحفي ، وموافقة اللغة العربية ؛ لهذا تختلف النظرة بالنسبة للقراءة في ضوء تحقق هذه الشروط أو عدمه ، وقد نتج عنه تقسيم القراءات إلى صحيحة وشاذة ، فما اجتمعت فيه من القراءات هذه الشروط فهو الصحيح ، وما نقص عنه فهو الشاذ. وبهذا كان المعتمد والمعول عليه في القراءات ما ذهــب إليه الداني في قوله السابق ، مما جعل أثره يتضح في إماتة أي مقياس جديــد ؛

---

[٩٢] / السيوطي ، الاتقان : ١ / ٢١١ .

كما جرى ذلك ــ في عهد ابن مجاهد ــ مقياسان آخران ، وماتا في مهدهما، لعدم تلقي المسلمين لهما بالقبول ، ولرفضهم لهما ، وهما:

مقياس ابن شنبوذ (ت: ٣٢٧ هــ) الذي اكتفى فيه بصحة السند وموافقة العربية.

ومقياس ابن مقسم (ت: ٣٥٤ هــ) الذي اكتفى فيه بمطابقة المصحف وموافقة العربية[٩٣]. وتبقى النظرة إلى هذه القراءات متأرجحة بين التقديس والمناقشة ، فمن يقدسها يعتبرها قرآنا ، ومن يناقشها يعتبرها علما بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم ، وفرق بين القرآن و العلم بأداء كلمات القرآن.

فالقراءات من حمى القرآن الكريم وليست نهبا لقول كل من هب ودب ، ويجب أن نقف حيالها موقف المتأدب الذي يخضع لقول من كانوا أهلا للإجلال والتوقير خدمة للقرآن وتأدبا معه بما حووا من العلم وأدوه لنا أمانة وإيمانا.

وفي الختام وبناءا على ما تقدم من حديث فإن مدار القراءة ليس على اللهجة وإنما بناءا على شروط محددة اتفق عليها العلماء ، ومما لا يمكن رده أن القرآن الكريم تضمن عدد من ألفاظ لهجات العرب الأخرى غير لغة قريش. ولكنه ليس مباحا لكل قارئ أن يفارق القراءة المتواترة ليقرأ بلسان قومه ، كما لا نوافق على الرأي الذي ذهب إليه بعض الباحثين حيث يقول: (إن القرآن العربي فيه جميع لغات العرب ؛ لأنه أنزل عليهم كافة ، وأبيح لهم أن يقرءوه بلغاتهم المختلفة ، فاختلفت القراءات فيه لذلك[٩٤].

وخلاصة القول أن القراءة سنة متبعة ليس التعويل فيها على اللهجات ، وإنما التعويل فيها على الرواية والتواتر ، وأن القراءة المتواترة ليست هي الأحرف السبعة ، كما أنها ليست لهجات سبع من لهجات العرب.

---

٩٣ / الفضلي ، القراءات القرآنية : ٣٩ وانظر مصدره .

٩٤ / إبراز المعاني ، أبي شامة ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، سنة ١٣٤٩هــ ، ص : ٤٨٧ .

النتائج:

١ـ أن الأحرف السبعة مما خفف به عن الأمة لوجود الشيخ والصبي والعجوز في القراءة على ما أنسوا من ألسنتهم. وقد أخذ ذلك الإقرار من في المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢ـ القراءات القرآنية هي جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم ، ومرجع تنوع القراءات مرده إلى التنوع الذي أقره النبي صلى الله عليه وسلم في وجوه وكيفية القراءات على النحو الذي أقر عليه صحابته رضي الله عنهم.

٣ ـ إضافة القراءة لصاحبها إضافة اختيار لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.

٤ ـ القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول ، ولا يلتفت في ذلك إلى الصحف، وإنما أساس النقل في القراءات هو الرواية الصحيحة بالسند الصحيح.

٥ ـ وضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع إليه ، ومعيارا يعول عليه ؛ وهو السند والرسم والعربية ، فكل ما صح سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف.

٦ ـ كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة.

٧ ـ القراء الصحيحة تتبني على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها.

التوصيات:

١/ أوصي بإنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم تعتمد تدريس القراءات المختلفة لمرتاديها ، بجانب قراءة حفص و الدوري المنتشرة في السودان.

٢/ أوصي بضرورة مراجعة كتابات و مقالات المستشرقين في علوم القرآن والتصدي لها بقوة وحزم.

٣/ أوصي بإنشاء قاعدة بيانات متجددة ترصد أقوال المتقولين في القرآن الكريم ، من العلمانيين والمستشرقين ورصد تحركاتهم وتسجيل محاضراتهم والرد على كتاباتهم باللغات التي ألفوا بها.

٤/ تفعيل دور المراكز البحثية ودعمها ورفدها بالكفاءات ، لتنهض بدورها في وجه الهجمة التغريبية الشرسة ، عبر الوسائط الإعلامية المختلفة.

٥/ أوصي كذلك الباحثين من بعدي بالتصدي لبعض الجوانب التي أثارها المستشرقون من تشكيك وترهات في علوم القرآن ؛ مثل التفسير ، وتدوين القرآن وغيرها......

المصادر والمراجع:

أولا: كتب التفسير:

١ - أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن العربي، ط \ دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

٢ - أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، دار الكتاب بيروت.

أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين الشنقيطي ط / المدني سنة ١٩٦٤م، القاهرة.

البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، الناشر مكتبة النصر الحديثة- الرياض.

٥ - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة للصناعة- بيروت.

٦ - جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر.

٧ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط / دار الكتب المصرية بالقاهرة.

٨ - الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، ط / مؤسسة طهران.

٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي. ط \ المنيرة بالقاهرة.

١٠ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري بهامش الطبري.

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط / دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

١٢ - مفاتيح الغيب- التفسير الكبير: للإمام الرازي، دار الكتب العلمية طهران.

ثانيا: كتب علوم القرآن:

١٣ - البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ط / دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٤ - الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي.

١٥ - علوم القرآن - للدكتور عدنان زرزور، ط / المكتب الإسلامي.

١٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني.

ثالثا: كتب القراءات:

١٧ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي البناء، ط \ عبد الحميد أحمد حنفي.

١٨ - أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، تأليف الدكتور سمير اللبدي، دار الكتب الثقافية \ الكويت.

١٩ - أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم أكرم.

٢٠ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ويليه كتاب القراءات الشاذة، تأليف عبد الفتاح القاضي - الناشر دار الكتاب العربي.

٢١ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر، للإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي وعبد الفتاح القاضي.

٢٢ - التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، استانبول، مطبعة الأدلة، سنة ١٩٣٠ م.

٢٣ - حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المعروف بأبي زرعة، تحقيق العلامة سعيد الأفغاني، ط \ مؤسسة الرسالة- بيروت.

٢٤ - الحجة في القراءات السبع للفارسي/ تحقيق علي النجدي، ود. النجار وشلبي، دفاع عن القراءات في مواجهة الطبري، د. لبيب سعيد، طبع السعودية، ط / دار الكتاب العربي.

٢٥ – رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط / مكتبة نهضة مصر، سنة ١٨٣٠.

٢٦ – كتاب السبعة في القراءات: لابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي \ تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة.

٢٧ – شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ط / مصطفى الحلبي، القاهرة.

٢٨ – القراءات القرآنية، تأليف عبد الهادي الفضلي، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

٢٩ – المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، د. محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٠ – النشر في القراءات العشر. الحافظ أبي الخير الشهير بابن الجزري.

٣١ – ومن كتب المستشرقين مذاهب التفسير لجولد زيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، ط \ السنة المحمدية.

رابعا: الحديث وعلومه: (كتب السنة الستة):

٣٢ – صحيح البخاري.

٣٣ – صحيح مسلم.

٣٤ – سنن أبي داود.

٣٥ – سنن المصطفى لابن ماجه.

٣٦ – سنن جامع الترمذي.

٣٧ – سنن النسائي.

٣٨ – نيل الأوطار للشوكاني.

خامسا: كتب التراجم و السير:

٣٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري المعروف بابن الأثير، ط ١ دار الشعب، القاهرة.

٤٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب يوسف بن عبد البر القرطبي، ط ١ السعادة- والنسخة مصورة من دار الصادر- بيروت.

٤١ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط ١ دار السعادة.

سادسا: كتب في اللغة.

٤٢ - تهذيب اللغة الأزهري، ط / عيسى الحلبي.

٤٣ - القاموس المحيط للفيروز ابادي، ط / مصطفى الحلبي.

٤٤ - لسان العرب لابن منظور الأنصاري، ط / القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ.